

(١٩) [المتكبر]

ورد اسمه سبحانه (المتكبر) في القرآن مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

[الحشر: ٢٣].

المعنى اللغوي:

قال الراغب: «عن ابن السكيت أنه قال: كبر الشيء: معظمه. قال: والكبر من التكبير أيضاً، فأما الكبر بالضم: فهو أكبر ولد الرجل. وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة؛ لأن الله عز وجل هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وهو الذي يستحق أن يقال له: المتكبر. وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أي أعظمناه. والكبر مصدر الكبير في السن»^(١).

المعنى في حق الله تعالى:

«(المتكبر) العظيم ذو الكبرياء، المتعالي عن صفات خلقه، المتكبر على عتاتهم. والكبرياء: العظمة والملك. وقيل: هي عبارة عن كمال الذات، وكمال الوجود، ولا يوصف بها على وجه المدح إلا الله»^(٢).

وقال الخطابي: «المتكبر: المتعالي عن صفات الخلق. ويقال: هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم. والتاء في المتكبر:

(١) المفردات للراغب.

(٢) لسان العرب ٣/ ٢١٠.

تاء التفرد، والتخصص بالكبر، لا تاء التعاطي والتكلف»^(١).

وقال قتادة: (المتكبر) أي: تكبر عن كل شر^(٢).

وقيل: (المتكبر) هو الذي تكبر عن ظلم عباده وهو يرجع إلى الأول^(٣).

مما سبق من النقولات يمكن فهم معنى اسمه سبحانه (المتكبر) في المعاني التالية:

١- المتكبر والمنتزه عن كل سوء وشر.

٢- المتكبر على عتاة خلقه وجبابرتهم إذا نازعوه العظمة فيقصمهم.

٣- المتكبر عن ظلم عباده فلا يظلم أحداً.

٤- المتكبر والمتعالي عن صفات خلقه فلا شيء مثله.

٥- الذي كبر وعظم فكل شيء دون جلاله صغير وحقير.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: (يقول الله - عز وجل - : العز إزاري، والكبرياء ردائي فمن نازعني عذبتة)^(٤).

وقد كان النبي ﷺ يسبح ربه سبحانه ويثني عليه في ركوعه وسجوده بهذا الدعاء: (سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة)^(٥).

(١) شأن الدعاء ص ٤٨.

(٢) تفسير الطبري ٣٧/٢٨.

(٣) نفس المصدر السابق ٣٧/٢٨.

(٤) مسلم (٢٦٢٠) في البر والصلة باب تحريم الكبر، وأحمد في المسند ٣٧٦/٢.

(٥) رواه النسائي في الصلاة باب أذكار الركوع، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٠٠٤).

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (المتكبر):

١ - امتلاء القلب بخلق التواضع لله تعالى بتوحيده وعبادته، والانقياد للحق الذي جاء في كتابه سبحانه وعلى لسان رسوله ﷺ. والتواضع لعباد الله وعدم التكبر عليهم، والبعد عن ظلمهم وهضم حقوقهم. قال ﷺ: (الكبر بطر الحق وغمط الناس)^(١). ويقدر ما في القلب من تعظيم الله تعالى والإيمان بكبريائه وجلاله يكون التواضع للحق وترك احتقار الخلق.

قال ﷺ: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)^(٢).

ولالإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - كلام نفيس عن التواضع للحق وصوره وأصناف الناس في تكبرهم على الحق فيقول: «التواضع للدين هو: الانقياد لما جاء به الرسول ﷺ، والاستسلام له، والإذعان. وذلك بثلاثة أشياء:

الأول: أن لا يعارض شيئاً مما جاء به بشيء من المعارضات الأربعة السارية في العالم، المسماة بالمعقول والقياس، والذوق، والسياسة.

فالأول: للمنحرفين - أهل الكبر من المتكلمين - الذين عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة، وقالوا: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل وعزلنا النقل، إما عزّل تفويض، وإما عزّل تأويل.

والثاني: للمتكبرين - من المنتسبين إلى الفقه - قالوا: إذا عارض

(١) مسلم (٩١).

(٢) مسلم (٢٨٦٥).

القياس والرأي النصوص، قدمنا القياس على النص ولم نلتفت إليه.
 والثالث: للمتكبرين المنحرفين - من المتسبين إلى التصوف والزهد -
 فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر، قدّموا الذوق والحال ولم يعبّؤوا بالأمر.
 والرابع: للمتكبرين المنحرفين - من الولاة والأمراء الجائرين - إذا
 تعارضت عندهم الشريعة والسياسة، قدموا السياسة ولم يلتفتوا إلى حكم
 الشريعة.

فهؤلاء الأربعة: هم أهل الكبر. والتواضع: التخلص من ذلك كله.
الثاني: أن لا يتهم دليلاً من أدلة الدين، بحيث يظنه فاسد الدلالة، أو
 ناقص الدلالة أو قاصرهما، أو أن غيره كان أولى منه، ومتى عرض له
 شيء من ذلك فليتهم فهمه، وليعلم أن الآفة منه، والبلية فيه، كما قيل:
 وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَفْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
 وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذْهَانَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْفُهْمِ
 وهكذا الواقع في حقيقة أنه ما اتهم أحد دليلاً للدين إلا وكان هو
 المتهم الفاسد الذهن، المأفون في عقله وذهنه، فالآفة من الذهن العليل لا
 في نفس الدليل.

وإذا رأيت من أدلة الدين ما يشكل عليك، وينبو فهمك عنه فاعلم
 أنه لعظمته وشرفه استعصى عليك، وأن تحته كنزاً من كنوز العلم، ولم
 تؤت مفتاحه بعد هذا في حق نفسك.

وأما بالنسبة إلى غيرك فاتهم آراء الرجال على نصوص الوحي،

وليكن ردها أيسر شيء عليك للنصوص، فما لم تفعل ذلك فلست على شيء: ولو .. ولو .. وهذا لا خلاف فيه بين العلماء.

قال الشافعي قدس الله روحه: «أجمع المسلمون على أن من استبانته له سنة رسول الله ﷺ: لم يحل له أن يدعها لقول أحد».

الثالث: أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلاً البتة، لا بباطنه ولا بلسانه ولا بفعله ولا بحاله، بل إذا أحس بشيء من الخلاف فهو كخلاف المقيم على الزنا، وشرب الخمر، وقتل النفس، بل هذا الخلاف أعظم عند الله من ذلك، وهو داع إلى النفاق، وهو الذي خافه الكبار والأئمة على نفوسهم^(١).

٢- الخوف من الله - عز وجل - والحياء منه مما يكون له الأثر في المبادرة إلى طاعته فيما أمر به، واجتناب ما عنه نهى وزجر، والإخلاص له سبحانه في ذلك، وتعظيم أمره، والانقياد لحكمه.

٣- اليقين بأنه ما من متكبر وطاغية إلا وسيقصمه الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة؛ قال الله - عز وجل -: ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥٠﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُنذِقَهُمْ عَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٥١﴾ [فصلت: ١٥، ١٦]، وفي الآخرة يقول الله - عز وجل -: ﴿ فَأَلْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠]،

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٣٤، ٣٣٥.

وقال الرسول ﷺ: (يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطأهم الناس) ^(١). وهذا يثمر في قلب المؤمن عدم الاغترار بقوة الكافر وجبروته؛ فإن الله عز وجل فوقهم وقاصمهم إذا أخذ المؤمنون بأسباب النصر وشروطه.

اقتران اسمه سبحانه (المتكبر) باسمه سبحانه (الجبار)، (العزیز):

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - عن هذا الاقتران: «جعل سبحانه اسمه (الجبار) مقروناً بـ: (العزیز والمتكبر)، وكلُّ واحدٍ من هذه الأسماء الثلاثة تضمَّن الاسمين الآخرين.

وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة وهي: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ف (الجَبَّارُ)، (الْمُتَكَبِّرُ) يجريان مجرى التفصيل لمعنى اسم (العزیز)، كما أن (البارئ المصور): تفصيل لمعنى اسم (الخالق).

ف(الجبار) من أوصافه يرجع إلى كمال القدرة، والعزة، والملك.

ولهذا كان من أسمائه الحسنی، وأما المخلوق فاتصافه بالجبار: ذمُّ له ونقص، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطَّبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] «^(٢).



(١) مسند أحمد (٦٦٧٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٦٨)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٣٤).

(٢) شفاء العليل ١/ ١٢١.